الموهبة في القرآن الكريم

إعداد

د. حمزة مسعود الطوير

جامعة الجبل الغربي

تقديم:

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على من امتدح المتميّز من المؤمنين فقال " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"[1] صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه ومن انتهج منهجه واتبع سنته إلى يوم الدين. وبعد

فإن مسألة التميز والإبداع قضية تفرضها طبيعة الإنسان وأسلوب عيشه القائم على التنافس والتدافع؛ لتلبية الحاجات الحياتية، وتحقيق الإشباع المادي والمعنوي وفق ما سنّه الله من التدافع في الحياة، وما وهبه من إماكانات وطاقات تختلف من شخص لآخر.

ونحن نعي جيداً طبيعة العالم الذي نعيش فيه، والعصر الذي ننتمي إليه، فهو، عصر الثورة العلمية والتكنولوجية والذرة واستخدام طاقاتها، وعصر العولمة والسرعة والعبور إلى الفضاء وهجر الكرة الأرضية، حيث رسمت ثورات القرن الماضي السياسية والصناعية والتكنولوجية والمعلوماتية خريطة جديدة للعالم المعاصر فبدا في صورة لم تخلُ من التناقضات والسلبيات التي نغّصت حياة الأفراد قبل الأمم والمجتمعات، فرسمت إشكالات الأزمة الأخلاقية والتربوية أبرز معالمه وطالت تأثيراتها سلوك الأفراد في جميع مراحل نموهم، وبدأ الجميع متوجساً، لا يدخر جهداً في التأقلم مع متطلبات هذا العصر، ومواجهة تحدياته التي تفرض على الجميع التعامل بجدية أكبر لتوحيد الصفوف واستغلال الطاقات وتوجيهها بعناية.

ويأتي على رأس ذلك حسن التعامل مع العقول الشابة الموهوبة ذات الطاقات الإبداعية التي تشكل مخزون ثروة طبيعية، هي أثمن من الثروات النفطية إذا ما أُحسن استغلالها.

ولا شك أن محاولات خلق التقدم التقني تقوم على النبوغ العقلي والاهتمام بذوي المواهب والإبداع . ومن ثم فإن هذه الدراسة تنعم النظر في بعض القصص القرآنية للتعرّف على سمات الشخصية لدى الموهوبين الذين تحدّث القرآن عن مواهبهم ، ومن ثم سحبها على المبدعين الذين تزخر بهم المجتمعات ويزدان بإبداعهم جيد الزمن، لاسيما أننا نعيش اليوم في عالم يتميز بالانفجار المعرفي والزيادة في السكان والتغيرات الثقافية وغير ذلك من الظواهر غير المكتشفة، فلا يتسنى لنا إعداد الأبناء لمواجهة المتغيرات الغامضة في المستقبل من خلال تزويدهم بكمية كبيرة من المعلومات والمعارف بل يتوجّب تنمية طاقاتهم وتفجير مواهبهم والارتقاء بمستوى تفكيرهم المبدع ليكونوا قادرين على مواجهة تحديات المستقبل الغامضة، ورسم خريطة جديدة للعالم الإسلامي الممزق تتناسب ومستوى التطلعات المستقبلية، ويتحقق من خلالها قوله تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[2] .

معنى الموهبة:

قبل استقراء سمات الموهوب يحسن بيان معنى السمة والموهبة والتميز وسبر أغوار الدلالات الاصطلاحية لهذه المفاهيم وغيرها مما يسهم في إيصال المعنى المراد إلى ذهن القارئ الكريم.

فالسمة: نزعة ثابتة نسبياً توجه سلوك الفرد وتصرفاته وهي الوحدات الأساسية للشخصية "[3] أو هي " مجموعة من ردود الأفعال والاستجابات تتوحد بعضها مع البعض في معظم الأحوال لمعالجة مختلف المواقف البيئية."[4] فأي شيء يمكن الاعتماد عليه في التفرقة بين شخص معين وآخر يسمى سِمة .

أمّا ما يوصف به الموهوب من ألفاظ كالمبدع والمتميز والذكي والمتفوق فهي ألفاظ تدل على قدرة استثنائية لدى فئة معينة من الناس في المجالات التي يقدرها المجتمع.

وللوقوف على معنى دقيق للموهبة والتفوق يجدر بنا الوقوف عند حدود هذا المصطلح والبحث في جذوره الاشتقاقية. فقد جاء في معاجم اللغة أن الموهبة تعني قدرة استثنائية واستعداداً فطرياً غير عادي لدى الفرد. أما التفوق فيرد مرادفاً للموهبة، فيأتي بمعنى القدرة الموروثة أو المكتسبة سوى أكانت قدرة عقلية أم بدنية[5].

وفي الاصطلاح عرّف العلماء التفوق بأنه: القدرة على الامتياز في التحصيل[6] أما المتفوق فهو من أظهر قدرة متميزة ومستمرة في أي ميدان من ميادين الحياة.[7] ومن ثم فإن التفوق التحصيلي هو الامتياز في التحصيل بحيث يؤهل الفرد مجموع درجاته لأن يكون من أفضل زملائه[8] ولذلك سمي التلميذ المتحصل على مجموع درجات أعلى من المتوسط الحسابي بالمتفوق دراسياً.

الموهوبون في القرآن:

تشكّل مهمة سبر أغوار الشخصية المتفوقة للوقوف على سماتها واحدة من أهم المهام المنوطة بالعلماء والتربويين؛ لأجل النهوض بمستقبل الأمة واللحاق

بركب الدول المتطورة، وهي من المسؤوليات الملقاة على عاتق أبنائها لاسيما ذوي الطاقات الفريدة والمبدعة. إذ إن المتفوقين هم دعائم المجتمع ، ومورد الطاقة التي لا تنضب. وتعدّ مهمة العناية بهم ضرورة لكل أمة تنشد الرقي والتطور. ومن ثَم أفردت المجتمعات والأمم في برامجها وخططها التنموية وقوانينها التربوية والتنظيمية فصولاً للعناية بهذه الشريحة وتطوير قدراتها وتفجير طاقاتها لرفع مستوى التقدّم العلمي والتقني والمعلوماتي.

ونحن كأمة مسلمة تستمد تعاليمها من وحي السماء لابد لنا من العودة دائما إلى الدستور المقدّس (كتاب الله) لنستلهم دوافع النفع ونسترشد بما فيه من حِكم ، ونَعتبِر بما ورد فيه من قصص يؤصّل للقضايا ويهدي للتي هي أقوم.

ثم إن بحث الإنسان الدائم عن فهم شمولي لما يحيط به ولذاته الوجودية ومحاولته تفسير كل الظواهر التي تواجه ديناميكية الوجود لن توجد بشكل متكامل إلاّ من طريق الدين الذي يجد فيه العقل تفسيراً لكل تساؤلاته، وتجد فيه الشخصية توازنها وتوافقها.

فالمتأمل في كتاب الله لا يعدم أن يلحظ أن التفوق الذهني والتفاوت في المواهب سمة فطرية جعلها الله وأراد لها أن تكون من خصائص الإنسان الذي أنيطت به مسؤولية الاستخلاف في الأرض وإعمار الكون. فالاهتمام بالمبدعين واجب ديني، وقضية مهمة دعت إليها الشرائع والأديان تصريحاً وتلميحاً، فأثنى الله على يعقوب عليه السلام لما كان يتميز به من فراسة ونظر فاحص في الأمور، وهي سمة للمتفوقين وموهبة قلّما وُجِدت في أوساط العامة فقال تعالى﴿ **وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾(9).

قال صاحب التحرير والتنوير (هُوَ ثَنَاءٌ عَلَى يَعْقُوبَ عليه السلام بِالْعِلْمِ وَالتَّدْبِيرِ، وَأَنَّ مَا أَسْدَاهُ مِنَ النُّصْحِ لَهُمْ هُوَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ)[10].

وذكر الله في محكم التنزيل ما كان عليه سليمان عليه السلام من قوة الشخصية وما أودع الله فيه من ملكات التفكير وحدّة الذكاء، وتلك أهم خصائص الموهوبين، إذ الموهوب بسبب نمو مداركه العقلية وسرعة اكتسابه المعرفي تتعدد مجالات اهتماماته ويتميز بقدرته على حل القضايا والمعضلات التي تنشأ فيقضي في المسائل بما ينمّ عن تميّزه العقلي وتفوقه الذهني. جاء في سورة الأنبياء ﴿ **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ۞ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً**﴾[11] فقد شهد الله لسليمان بالنبوغ والتفوق العقلي، وهو ما عبّر عنه الشنقيطي عند تفسيره للآية بقوله ((إن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده ، ولم يستوجب لوماً ولا ذماً بعدم إصابته))[12].

ولئن كان سليمان عليه السلام مشهوداً له بالتفوق في العلوم النظرية والفقه والقضاء فإن أباه داود عليه السلام كان يتّسم بالإبداع والابتكار الحرفي الصناعي، أو ما يسمى بالتميز في الإنتاج الإبداعي، فكان على درجة عالية من الإبداع والإتقان في صناعة الدروع والتحصينات الحربية التي كانت تمثّل أهم الصناعات وأرقاها في ذلك الحين، وربما تضاهي ما توصلت إليه الآن عقول التصنيع الحربي من ترسانات. نلحظ ذلك جلياً في قوله تعالى ﴿**وعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾[13] فالمستفاد من هذا النص القرآني أنَّ الموهوبين يتميزون بالميل الشديد إلى مهام أكثر صعوبة وتعقيداً، تكفل لهم قدراً عالياً من

الحرية والاستقلالية في التفكير، وتتحدى مواهبهم واستعداداتهم. ومن ثم كان طلب الشكر في الآية دليلاً على عِظم النعمة، والثناء على الصنعة دليلاً على تميّز الصانع.

إن القدرة الداخلية على تمييز الخير من الشر والحَسن من الأحسن تعد أحد الأبعاد المهمة للفطرة في سيكولوجية الإنسان وسمة من سمات النباهة والتفوق؛ فمن ذلك تصوير القرآن لأثر القيمة الإدراكية في قصة إبراهيم ﷺ إذ أدرك بفطرته أن هناك إلهاً قادرا مسيرا يجب البحث عنه ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ۞فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا ۞رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[14] إن المستنطق لهذه الآيات لابد أن يقف على سمات وخصائص تميّز بها إبراهيم ﷺ إذ تفضل الله عليه بالهداية الموصلة إلى أعلى درجتها، فكان ينكر الشرك ويطلب اليقين بالتفكر والنظر في الآيات والاستدلال بالحدوث على وجود الصانع الحكيم، وهي سمة المتفوقين وسنتهم في التدريج في التربية والتعليم،لاسيما إن كان الأمر يتعلق بإنكار الشرك على أهله ووجوب البراءة منه، وعدم إقرارهم على ما هم فيه ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء .

فقد رسمت هذه الآيات في صورة ناطقة استدلال إبراهيم بالحدوث على وجود الصانع الحكيم، حيث واجه عبّاد الكواكب والأصنام من قومه بالحقيقة التي أراد أن يوصلهم إليها، فقال " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً " لا كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنام نحتموها بأيديكم وعبدتموها بأهوائكم.

وقد ينتاب ذوي المواهب شعور بالاكتئاب والتشاؤم بما لـديهم مـن حساسـية مفرطة تجاه مشكلات المجتمع، والبيئة المحيطة بهم، ويعتـريهم شـعور وجـداني بالمسؤولية الأخلاقية، لما لهم من المشاعر والعواطف تجاه الوسط الـذي يعيشـون فيه، فيفكرون بدقة وعمق فيما يجرى حولهم من أحداث ومشكلات، وفيمـا يتهـدد المجتمع من المخاطر، ويشعرون بالمسؤولية الأخلاقية تجاه تغيير المجتمعات إلـى الأفضل من خلال إصلاح سلوك الأفراد. ولعل في سورة الأعراف ما يؤكد هـذا، إذ يحكي القرآن على لسان أحد الذين اصطفاهم الله لإبلاغ رسالاته إلـى النـاس، وميزهم بمواهب خاصة تؤهلهم لشرف الرسالة وتحقيق ما يناط بهـم مـن مهـام الهداية الاجتماعية والأخلاقية للمجتمعات.

فقد صوّر القرآن الكريم حال نبي الله صالح وهو يتأسى على قومه الذين عتوا عن أمر ربهم وتمردوا عن اتّباع رسالته، وخرجـوا عمـا هـو مـألوف مـن القـيم الانضباطية والأخلاق الآدمية، وارتكبوا أرذل الفواحش، فهجروا النسـاء وركنـوا لإتيان الذكران من العالمين ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـالَةَ رَبِّـي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾[15] بعد أن أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

فالذي يوحي به هذا النص أن انعدام تطبيق القيم الأخلاقية فـي سـلوك المجتمـع يسهم في تكون الضغوط النفسية والاكتئابية لدى الموهوبين؛ لما يتميزون بـه مـن أخلاقيات ومُثل تدفعهم إلى الانفتاح على تجـارب الآخـرين ومعايشـة معانـاتهم والشعور بآلامهم وآمالهم[16].

إن ما يتميز به الموهوبون بحكم تكوينهم النفسي من التمرّد على القيود والـنظم العرفية التي تكبح جماح النفس وتكبّل حركاتها يسهم في نشوء السأم والملـل فـي نفوسهم. حيث إن شخصية المتفوق وأنماط تفكيره تجعله أقـل اكتراثـاً بـالأعراف والنظم الجامدة فلا ينصاع للتعليمات الصارمة، ولا يرتضي تدخل الآخـرين فـي شؤونه. نلحظ ذلك جلياً فيما دار بين الخضر وموسى عليه السلام مـن حـديث، إذ قـال موسي للخضر يستعطفه "هل أتبعك على أن تعلمني مما علمـت رشـداً" أي ممـا علمك الله رشداً يدُلني على الحق وتحصل به الهداية فأجابه " إنك لن تستطيع معـي صبراً " لأنه يرى منه أموراً لا يقره عليها ولابد للخضر أن يفعلها ولـيس بوسـع موسى الصبر عليها ، ومن ثم علل الخضر سلوك موسى حيال ما سـيرى بقولـه ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ أي علماً كاملاً . إذ كان الخضـر قـد تميز بموهبة وعلم خاص ليس لدى موسى منه أي سبب. جاء في التحرير والتنوير ((وهذا العلم الذي أوتيه الخضر هو علم سياسة خاصة غيرِ عامة تتعلق بمعينـين لِجلب مصلحة أو دفع مفسدة بحسب ما تهيئه الحوادث والأكـوان لا بحسـب مـا يناسب المصلحة العامة))[17].

إن نظريات العلم الحديث تؤكد أن الموهوب يتميّـز بنمـو مداركـه العقليـة وسرعة اكتسابه المعرفي وتعدد مجالات اهتماماته وتنوع ميوله، فيتميـز بالشـغف المعرفي والسعي وراء كسب المعلومة من خلال المغامرة والتساؤل والاستكشـاف والتجريب؛ لما له من قدرة على تجاوز الخطوات المعتادة فـي تسلسـل التفكيـر العادي، والقفز إلى معالجة التفصيلات الدقيقة للموضوع المطروح، والتفكير فيمـا وراء الأشياء .

وقد سبق القرآن الكريم إلى تأكيد هذه الخصائص، في آيات أخر من السورة نفسها، حيث يسوق في أسلوب فريد قصة رجل مبدع طاف الأرض مشرقها ومغربها، ثم ابتنى سداً منيعاً ربما عجزت التقنيات الهندسية الحديثة عن إنجاز مثله، فهو غاية في الإتقان والإبداع ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ [18] قال القرطبي في إيضاح معنى الآية والتعريف بهذا المبدع المتميّز ((وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يؤت غيره ، فمدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سلط على أهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق. قال ابن إسحاق : حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح. قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية فنسبت إليه))[19].

ولقد ذكر أبو السعود في تفسيره شيئا من مظاهر الدقة والمهارة التي تميز بها ذو القرنين في إنجاز السد الذي ابتناه، فقال: ((حفَر الأساسَ حتى بلغ الماء وجعل الأساسَ من الصخر والنحاس المذابِ والبنيانَ من زُبر الحديد بينها الحطبُ والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان مائةَ فرسخ))[20].

إن المنعم للنظر في هذه القصة يلحظ ما فيها من وصف دقيق للمهارات العملية وإتقان الصنعة وتترآى له شخصية ذي القرنين بما تحمله من الخصائص والسمات، إذ إنه يتمتع بطاقات غير محدودة وحيوية فائقة، ومستوى وفير من النشاط، ولديه دوافع قوية للتعلم والعمل، وهو قادر على الانغماس في العمل

لفترات طويلة، كما يتمتع بيقظة عقلية وفضـــول متزايـــد وشـــغف بالاستكشـــاف والتجريب " فأتبع سبباً ".

وقد يعتري المتميزين من ذوي المواهب شعور بالاكتئاب والتشاؤم بمـــا لـــديهم من حساسية مفرطة تجاه مشكلات المجتمع، والبيئة المحيطة بهم؛ لما يعتريهم مـــن شعور وجداني بالمسؤولية الأخلاقية، وما لهم من المشاعر والعواطف تجاه الوســـط الذي يعيشون فيه، فيفكرون بدقة وعمق فيما يجرى حولهم من أحداث ومشـــكلات، وفيما يتهدد المجتمع من المخاطر، ويشعرون بالمسؤولية الأخلاقيـــة تجـــاه تغييـــر المجتمعات إلى الأفضل من خلال إصلاح سلوك الأفراد. ومن ثـــم يســـهم انعـــدام تطبيق القيم الأخلاقية في سلوك المجتمع في تكون الضغوط النفسية والاكتئابية لدى المتفوقين لما يتميزون به من أخلاقيات ومُثل تدفعهم إلى الانفتـــاح علـــى تجـــارب الآخرين ومعايشة معاناتهم والشعور بآلامهم وآمالهم[21].

فحينما يسوق القرآن مثل هذا القصص الذي ينبئ بالدقـــة والإحكـــام وجـــودة الصنعة والمهارة في أداء الأعمال فهو يشيد بمن أوتوا حظاً من الموهبة والإبـــداع لتحفيز غيرهم لمحاكاتهم والاقتداء بهم في تأصيل المعـــارف العلميـــة والتربويـــة والنفسية التي تمثّل انعكاساً لأصالة الأمة وتعبيراً عن خصوصياتها الثقافية والقيمية التي تنفتح على الآخر أخذاً وعطاءً، ولا تقلده تقليداً أعمى أو تذوب فيه؛ إذ لا فرق بين حافظ لتراث أسلافه وناقل لإبداعات غيره، فكلاهما يمتح من ثقافة الذاكرة، ولا يرد ثقافة الإبداع ،ولا يعد نفسه لحياة مستقبلية، ومن ثم فإن من مقاصـــد القصـــص القرآني أن يكون المسلم الموهوب مبدعاً متألقاً فـــي علمـــه وأخلاقـــه ومعاملاتـــه

واختراعاته التي تبنى على ركائز إيمانية قويمة وأسس سليمة تستند إلى أصالة الأمة المحمدية وعمق تاريخها وتمسكها بكتابها وسنة نبيها.

كما أن هذه النماذج وغيرها مما ساقه القرآن تؤكد أن الإبداع موهبة – موروثة أو كسبية – لدى بعض الناس ممن لهم استعداد خاص لتغيير مجريات الأحداث وخلق الأفضل، إذ إن نزعة الاختراع نزعة فطرية، ناشئة من الرغبة الدائمة في التحسين والسعي نحو الأفضل، وقد أودعها الله في الفطرة من أجل أن يسعى الإنسان دائماً إلى الارتقاء بحياته إلى المستوى التحسيني متجاوزاً حدود الضرورات والكماليات. فمن أجل تحسين الحياة وتجميلها ليصل إلى درجة الإحسان يخترع الإنسان على الدوام أدوات ووسائل جديدة لتلبية الدوافع الكامنة داخل النفس.

إن فلسفة الاهتمام بالموهوبين وسبل رعايتهم والعناية بهم يجب أن تستند إلى معايير إسلامية لا تقوم على إعمال العقول وتشجيعها فحسب، وإنما تعتمد على القيم الأخلاقية والاجتماعية للموهوبين والمتفوقين؛ لتستغل هذه المواهب والإبداعات في إعمار الأرض وسعادة الإنسان وحريته وتلبية احتياجاته، ومن ثم كان التعليم والبحث العلمي يمثلان أداة تصنع التقدم ويقع عليها العبء الأكبر في تحمل المسؤولية والأمانة في مجال الكشف عن الموهوبين ونشر ثقافة الإبداع التي تهتم بالكيف والجودة ونوعية التحصيل والتعليم ومخرجاته أكثر من التركيز على الكم ورداءة نواتجه .

إن البحث العلمي والاستثمار في الثروة البشرية والكشف عن الموهوبين فضلاً عن كونه واجباً دينياً مقدساً يعدّ التزاماً وطنياً وأخلاقياً، وظاهرة حضارية

تفرضها مستجدات العولمة والتحدي العلمي والتقني الحديث ودليل على وعي الدولة بمؤسساتها المختلفة لاسيما التعليمية منها وإدراكها لقيمة البحث العلمي وأهمية العقول البشرية .

وبالرغم من أن اكتساب المعلومة واستيعابها سواء داخل المؤسسات التعليمية ودُور المعرفة أو خارجها يعد أمراً مهماً في كل حقول المعرفة. فإن من غير المسلّم به أن تتمحور مهمة المؤسسات التعليمية والتربوية حول هذا الهدف بالدرجة الأولى لما يترتب عليه من نتائج وخيمة تتجلى في صوغ الطالب بقالب معين ذي نسق محدد ومغلق، ومن ثم إقفال باب التخيل والمخاطرة والمغامرة الفكرية، مما يؤدي إلى إعداد أفراد سلبيين غير واثقين من خبراتهم، وليس لديهم القدرة على البحث الايجابي؛ لأنهم مبرمجون تجاه قيم محددة وأهداف معينة تتناسب مع نموذج حياة يُعَدُّون لها تتسم بالروتين والمناشط المتكررة، وبذلك يتم تحويل المتميزين من بشر زاخر بالخيال والنشاط والتلقائية إلى مسجلين للمعلومات ذوي شخصيات مترددة مضطربة الفكر والسلوك[22].

إننا نتأمل أن يشكل هدف العناية بالمتعلمين في المجتمع العربي والإسلامي ركناً أساسياً تبني عليه الأنظمة التعليمية والخطط التنموية استراتيجياتها من أجل استثمار هذه الطاقات البشرية وتوجيهها بشكل يعود بالنفع للأفراد والمجتمعات على حد سواء.

نتائج البحث:

تلك بعض سمات المتميزين التي أثبتها القرآن الكريم حاولت في هذه الدراسة الموجزة الإتيان عليها؛ لأخلص منها لأهم النتائج التي أجملها في الآتي:

– إن سبر أغوار الشخصية المتفوقة، والوقوف على خصائصها وسماتها واجب مقدّس يتعين على علماء الأمة وباحثيها؛ لأجل دعم هذه الشريحة، وتوظيف طاقاتها في رقي المجتمع وصنع الأمجاد الحضارية ومواكبة التطورات العصرية.

– إن التفوق والموهبة سمة فطرية وخصيصة من خصائص البشر صرّحت بها الأديان ودعت إليها حاجة الناس المتزايدة لأجل إعمار الكون وأداء رسالة الاستخلاف في الأرض.

– إن شخصية المتميز موهوباً أو متفوقاً تتسم بخصائص تغاير ما عليه عامة الناس كالنزعة الكمالية، والحساسية المفرطة، وقوة المشاعر والعواطف ، مما يسهم في عدم فهم الناس لهم، ويستجلب الاضطرابات السلوكية في حياتهم.

* **وختاماً** فإننا نوصي بالاهتمام المتزايد بالمتفوقين والموهوبين لكونهم أهم الدعامات التي تقوم عليها الحضارات، ومركز الإشعاع الفكري في الأمة . ومن ثَم يتوجب استيعابهم وتفهّم خصائصهم والتعامل معهم وفق طاقاتهم وقدراتهم .

كما نوصي بإيقاظ المواهب وملكات التفوق والإبداع في المجتمعات العربية والإسلامية والكشف عنها والإهتمام بها ورعايتها وتوفير البيئة المدعمة والمحفزة لها مع ضرورة تشجيع الثقافة التي تَعد التميز والتفوق والنبوغ والاصطفاء آية من آيات الله يجب رعايتها وتشجيعها والتهيؤ لها، لا طمسها أو تجاهلها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

الهوامش:

(1) – ابن ماجة محمد بن يزيد – السنن ، طبعة جمعية المكنز،باب في القدر؟

(2) – آل عمران، الآية 110.

(3) – الوقفي، راضي. مقدمة في علم النفس. ط3. دار الشروق للنشر والتوزيع 1998م ، ص590.

(4) المشهداني، وجدة عواد. 1999م. دراسة مقارنة لبعض سمات الشخصية بين طلاب إعدادية المتفوقين وطلاب الإعدادية العامة. (رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بغداد)، ص77

(5) ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة (ف و ق).

(6) الزيات فتحي مصطفى. 1998م، الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط العقلي المعرفي. (دار النشر للجامعات: القاهرة)، ص18، وفتحي عبد الرحمن. 1998م، الموهبة والتفوق والإبداع. ط2. (دار الكتاب الجامعي)، م، ص43 .

(7) مصطفى الإمام وآخرون– علم نفس الخواص، (وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة بغداد: العراق. 1993م)– ص 82.

(8) القاضي، يوسف مصطفى وآخرون. الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي. ط1. (دار المعارف: القاهرة). 1981م– ص 426.

(9) سورة يوسف: الآية68.

(10) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م)، 13 / 24.

(11)لآيتان 78 – 79.

(12) الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، (دار الفكر للطباعة والنشر.بيروت، 1415هـ – 1995م)، 4 / 169.

(13) الأنبياء، الآية 80.

(14) الأنعام، الآيات 76 – 78.

(15) الأعراف، الآية79 .

(16) انظر ليندا سيلفرمان، 1993م، ص 79.

(17) ابن عاشور، 15 / 368.

(18) سورة الكهف، الآية 83 واقرأ إن شئت الآيات حتى 97.

(19) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003ف، 11 / 45.

(20) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، (دار إحياء التراث العربي– بيروت) ، 4 / 288.

(21) انظر ليندا سيلفرمان، 1993م، ص 119.

(22) الطعان– 2007– ص 119.